أُمي عِند عتبة الباب قِصة : نكتل يوسف محسن

لم يمضِ على وفاة أمي (رحمها الله) إلا بضعة أشُهر ، ولم يكن الجرح حينها قد اندمل ، فما زالت إثار فقدانها تعصر القلب وتُحزن الروح وتأسر الوجدان ، وفي إحدى أيام الدنيا القاتمة وبينما انا أقرأ في كتاب طرق أحدهم الباب طرقاً خفيفاً ، وكان يد طفلً صغير أو شخص لا يقوى على

الطرق بقوة أو يداً مترددة في طرق الباب بحيث تلمس الباب خفيفاً ثم يسحب يده.

نهضت لأقطع تزاحم التكهنات ولإعلم من الطارق ، فاذا بامرأة عجوز قد جاوزت العقد السادس أو السابع من عمرها ، عليها ملامح العز والوقار ، مكتسية ثياب رثة سوداء قد أخذ الزمان حضه منها ، قد فعل الزمان فعله في ملامح وجهها ، فخط أخاديد فيه لينبأ عن تقدم السن وتأثر الصحة .

لم ارى تلك المرأة غريبة على العكس من ذلك ، فقد رأيت فيها وجه أمي التي غيبها التراب قبل أشهر ، تنظر إلي كأبن وأنظر اليها كوالدة وما بين النظرتين أحساسٍ عميق بالحزن وتهيجاً للذكريات وتنمية للفقد ، لم تنطق أي كلمة ، فبادرت أنا بذلك قلت : تفضلي يا أمي بماذا اساعدك ؟ لم ينطق لسانها ونطقت عيونها فأسالت دمعاً لتخبر عن محنة الكِرام ، فعرفت حينها أن الحاجة الجأتها للسؤال وأن التردد بادياً في خروجها من المنزل وطرقها الخفيف المتردد للباب ثم السكوت وعدم الكلام ، وهكذا هم الكِرام لم يعتادوا سؤال لناس على العكس من ذلك كانت بيوتهم مأوى للضعيف ومطعم للجائع وملاذاً للخائف ، وهكذا عاشت مدينتي الحبيبة الموصل وهكذا

تعودت أن تكون ، ولكن حرباً ضروس وإنقطاع الحياة لما يقارب السنة قد أنفذ المؤن فألجأهم للحاجة ومع هذا لم يطوِ أغلبهم السؤال كما في حالة هذه المرأة الكريمة ، وأنا متأكد أن هذه التضحية بالكرامة ومد يد السؤال للناس لم يكن من أجلها بل من أجل أطفال لا يعلمون طبيعة الحال وظروف الحرب ولو كان الأمر متعلقاً بها لما جاءت وطلبت .

لم أشأ ان احرجها أكثر ناديت زوجتي وأخبرتها بالأمر ، فبادرت بدورها بجمع ما تيسر من مؤن وكانت إبنة خير تعودت ان تساعد الناس في كل وقت وحين ، فجمعت ما قدرت عليه وجاءت به فأخذته منها وأعطيته للمرأة فنظرت الى السماء ثم التفتت إلي وقالت : أبنتي قد ولدت حديثاً والله لا أجد ما اطعمها . فقلت لها لا تهتمي يا أمي متى ما نفذت هذه المؤن أبلغيني ، ودليني على بيتك أوصل لكِ المؤن بدون ان تتحرجي فرفضت ذلك ، وسارت بالمؤن وهي تحمد الله وتشكره .